الباب الثامن

المشروع والمستقبل

ويتضمن الموضوعات التالية:-

- للإسلام مشروع دولة
- انتكاس العلمانية وعودة جديدة للاسلام
- الاسم من جديد
- توصيات لمشروع دولة الاسلامية حديثة
- الصحوة الاسلامية ومقدمات الخلافة
- الصحوة وواقع الساحة الاسلامية
- الصحوة وقضايا الأمة
- المستقبل للاسلام
- دول اسلامية منبثقة من الاتحاد السوفيتى
- الخلافة قادمة لا محالة
- صرخات خوف من الخلافة القادمة

obeikan.com

obeikan.com

للاسلام مشروع

إن نظام الحكم في الاسلام هو نظام الخلافة الذي فرضه الله رب العالمين، وهو نظامُ حكمٍ فريد متميز عن غيره من الأنظمة في العالم، إذ إنه من الله سبحانه بديع السماوات والأرض، وخاص متميّز، لدولة خاصة متميزة، يختلف عن جميع أنظمة الحكم الموجودة في العالم اختلافاً كليّاً، سواء في الأساس الذي تقوم عليه هذه الأنظمة أو في الأفكار والمفاهيم والمقاييس التي تُرعى الشؤون بمقتضاها، أو في الأشكال التي تتمثل بها، أو في الدساتير والقوانين التي تطبقها فهو ليس نظاماً ملكياً ديكتاتورياً ولا إمبراطورياً ولا جمهورياً أو اتحادياً، وهنا يكمن تميزه عن بقية أنظمة الحكم في العالم.

والخلافة هي رئاسة عامة للمسلمين جميعاً في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الاسلامي، وحمل الدعوة الاسلامية إلى العالم بالدعوة والجهاد، وأدلة فرض هذه الدولة مستفيضة من كتاب الله وهدي رسوله ص، وهي معلومة ومشهورة لا تكاد تخفى على مسلم، لكننا نورد بعضها من باب التذكرة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ولا يأمر الله بطاعة من لا وجود له فدل على أن إيجاد ولي الأمر أي الخليفة واجب فالله تعالى حين أمر بطاعة ولي الأمر فإنّه يكون قد أمر بإيجاده فإن وجود ولي الأمر يترتب عليه إقامة الاسلام،

وترك إيجاده يترتب عليه تضييع الحكم بالاسلام، فيكون إيجاده واجباً لما يترتب على عدم إيجاده من حُرمة، وهي تضييع الحكم بالاسلام.

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ص قوله: إنّما الإمام جُنّة يقاتَل مِن ورائه ويُتّقى به، فهذا الحديث فيه وصفٌ للخليفة بأنه جُنّة أي وقاية فوصف الرسول ص بأن الإمام جُنّة هو إخبار عن فوائد وجود الإمام؛ فهو طلب، لأن الإخبار من الله ومن الرسول إن كان يتضمن الذم فهو طلب ترك أي نهي، وإن كان يتضمن المدح فهو طلب فعل فإن كان الفعل المطلوب يترتب على فعله إقامة الحكم الشرعي أو يترتب على تركه تضييعه، كان ذلك الطلب جازماً، أي فرض كما هو معمول به في أصول الفقه.

دولة الخلافة هي أهم أمر فرَضَهُ رب العالمين، وهي أقوى من التشويه والتشويش، فهي مسطرة قولاً وفعلاً في كتاب الله وسنة رسوله ص وإجماع صحابته الكرام، وبإذن الله ستعود خلافة راشدة كما وعد الله سبحانه وبشر بها رسوله ص، والأمة باتت تتوق لذلك اليوم، بل وتعمل له بجد واجتهاد وإخلاص مع الله وصدق مع رسول الله ص، وأمة حالها هكذا مع الله فهو سبحانه ناصرها لا محالة: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ).

والاسلام مبدأ متكامل شامل، تُعالج أنظمته مشاكل الإنسان بصفته إنساناً في كل شؤون الحياة، فتجد نظام الحكم ونظام الاقتصاد والنظام

الاجتماعي ونظام التعليم والسياسة الخارجية؛ كلها منبثقة من عقيدة المبدأ الاسلامي ذاته فنظامه الاقتصادي يُعالج ناحيتين إحداهما كيفية أخذ الدولة للمال من الشعب لتعالج به مشاكل الناس بالعدل والحق، والثاني كيفية إنفاقه عليهم، ونظامه الاجتماعي يُعالج علاقة المرأة بالرجل وما يترتب على هذه العلاقة من أحكام شرعية ، ونظام التعليم يُعالج السياسات التعليمة التي جعلت أمتنا في مؤخرة الأمم علمياً وصناعياً، فيحرص نظام الاسلام التعليمي على وضع سياسة تكون فيها الثقافة الاسلامية هي أساس مناهج التعليم، ويحرص على عدم أخذ الثقافة الأجنبية إذا تناقضت مع الاسلام ، ويشجع البحث العلمي والأبحاث التكنولوجية المتقدمة لتنتج مدارس وجامعات الدولة الاسلامية علماء ومخترعين على أعلى مستوى، أما السياسة الخارجية للخلافة فتبنى على أساس حمل الدعوة الاسلامية للأمم والشعوب،وعلى تحقيق مصلحة الاسلام والمسلمين بين العالم بوصفها دولة إسلامية عالمية أما نظام الحكم؛أي الخلافة، فهي التي تجعل كل الأنظمة السابقة قيد التطبيق والتنفيذ، وهي التي تجعل الاسلام حياً وسط الناس بتطبيقه ونشره رسالة هدى ونور للعالمين.

وعليه فالاسلام هو الاسلام يؤخذ من مصادره التشريعية؛ كتاب الله وسنة رسول الله ص، وتؤخذ أنظمته وتشريعاته من نصوصه الشرعية لا من تجارب الحركات الاسلامية أو تجارب الحكام المسلمين.

فتجارب المسلمين في الحكم تاريخ، والتاريخ ليس مصدراً من مصادر الاسلام التشريعية، وعليه فإننا ندرك أن بالحركات الاسلامية لم تطبق الاسلام وعدم تطبيقها الاسلام لا يُسيء للإسلام، بل يُسيء لتلك الحركات الاسلامية ويُنكس صورتها أمام أمتها وأخيراً قال تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)، فنظام الحكم في الاسلام؛ نظامُ الخلافة هو النظام الأوحدُ الصالح لحكم البشر إذ أنه من خالقهم سبحانه.

<u>انتكاس العلمانية وعودة الاسلام من جديد</u>

كان الفكر العلماني الوضعي بشقيه الرأسمالي الليبرالي، والشيوعي، يبشران بعالم تختفي فيه العقائد الغيبية ولكن خيبة الأمل في الأيديولوجيات الوضعية وما جناه الإنسان على يدها من دمار أتلف خمسين مليون نفس ماتوا في الحربين العظميين وما صحبها من إهدار لكرامة الإنسان وحقوقه وما مثلته دعاواها من استفزاز لعقائد وثقافات الشعوب أثار الأديان والثقافات الإنسانية وحركها نحو صحوة أصولية.

لقد ظهر في الربع الثالث من القرن العشرين أن الأيديولوجية الرأسمالية ونقيضها الشيوعي لم يحيطا بحقيقة الإنسان، وأن نفي القيمة عن الدين، ونفي الموضوعية عن الأخلاق، لم يؤديا لاندثارهما بل شهد الربع الأخير من القرن العشرين صحوة أصولية في كافة الأديان،

صحوة وثقتها جامعة شيكاغو بدراسة أجرتها ونشرت نتائجها في عام ١٩٨٨م.

كثير من رواد الفكر الجاد أدركوا أن إغفال انتماءات البشر الدينية والثقافية لا يمحوها وأنها باقية تؤثر في قيم المجتمعات الإنسانية وفي سلوكها وبعد دراسة عن إخفاق حقبة التنمية جاء في تقرير التنوع البشري الخلاق الذي قامت به مجموعة متخصصة بالتعاون مع اليونسكو الاستنتاج الآتي إن مجهودات التنمية غالباً ما أخفقت لأن العامل البشري أى تلك الشبكة من العلاقات والمعتقدات والقيم والدوافع التي تجسدها الثقافة قد أهمل في التخطيط للمشروعات المختلفة.

وبعد عام ١٩٨٩م تتالت الأحداث بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وظهر أثناءها وزن الانتماءات الثقافية والدينية وتأثيرها في السلوك الدولي هذه الحقائق هي التي أوحت لصمويل هنتنجتون نظرياته ومقولته: أن العلاقات الدولية في المستقبل سوف تدور حول الحضارات وعلاقاتها تنازعاً وتعاوناً ومعلوم أن الدين من أهم بل هو أهم مقومات الحضارات الإنسانية.

إلى الاسلام من جديد:

مع أن ظاهرة الانبعاث الأصولي عامة في كل الأديان ومع أنها تشترك في التصدي لمقولات العلمانية ومبالغات العولمة فإن للصحوة الاسلامية

ظروفا خاصة الصحوة الاسلامية التي انطلقت في الربع الأخير من القرن العشرين وما زالت تتسع حلقاتها تعود إلى عوامل ذاتية وأخرى خارجية.

العوامل الذاتية :

القرآن ينفرد بين الكتب المقدسة بأنه محفوظ، والنبي محمد صاحب الرسالة ينفرد بأن حقيقته التاريخية موثقة، وبأنه كان ناجحاً بصورة فريدة في عالمين لا يجتمعان عادة في شخص أنه كان رجل دين ورجل دولة من طراز فريد والمسيرة الاسلامية التاريخية كانت في أوج عطائها مضرب المثل للنجاح والفلاح والعقيدة الدينية الاسلامية استقرت في وجدان المسلمين استقراراً عميقاً أورثها طمأنينة نفسية ويقيناً بحتمية النصر وفي ذهن كثير من المسلمين أن الآخرين إذا عرفوا حقيقة الاسلام سوف يسلمون حتماً على نحو ما قال مراد هوفمان السفير الألماني الذي أسلم: في ظل السلام الاجتماعي السائد في بلداننا بحثنا عن الاسلام ومعانيه فشدنا إليه فأصبح هذا الدين الأكثر انتشاراً.

العوامل الخارجية:

الرسالة الاسلامية للناس كافة والإنجازات التي حققها المسلمون عززت حتمية أن يعم الاسلام كل العالم والتفوق الثقافي والعسكري أفرز استعلاء وانتعاش الحضارة الاسلامية في الأندلس في وقته، ثم حصار فيينا مرتين عام ١٥٢٩م، وعام ١٦٨٣م وغيرها من الأحداث الهامة وضعت أوروبا في مواقف دونية من الحضارة الاسلامية هذه العلاقة

انقلبت أولاً في الحركة الشاذة المتمثلة في الغزو الصليبي لفلسطين وثانياً في تفوق الحضارة الغربية وسيطرتها الاستعمارية على العالم الاسلامي استعلاء والحضارة الغربية وعدوانها على حقوق المسلمين في مناطق كثيرة حركا احتجاجاً ومقاومة إسلامية مضادة.

هذه العوامل الذاتية والخارجية ما برحت تحرك تيارات إسلامية معتدلة وراديكالية ولكن لفترة طويلة من الزمن غطى عليها عاملان:

الأول: وجود مد قومي هيمن على الحدث السياسي في البلدان الاسلامية.

الثاني: ضرورات الحرب الباردة وتحالف كثير من الحركات الاسلامية مع المعسكر الغربي ضد الشرقي الملحد.

أما الخيار القومي فقد انحسرت موجته: ففي المجال العربي رفع شعارات طموحة بددها النصر الإسرائيلي عام ١٩٦٧م وفي الجزائر لوثه خضوعه الثقافي لفرنسا والأيديولوجي للاتحاد السوفيتي وحتى الغزو السوفيتي لأفغانستان كانت المنظمات الاسلامية الأفغانية عديمة النشاط ولكن الغزو السوفيتي استفزها ودفع بها للصفوف الأمامية للنشاط السياسي وسارعت الولايات المتحدة لدعمها مالياً وتكنولوجياً وبعد نجاح هذه الحملة وجلاء القوات السوفيتية لم تحفل أمريكا بما جرى للبلاد وتحاربت فصائل المجاهدين جالبة الفوضى للبلاد ففتح ذلك

المجال لحركة طالبان التي دعمتها باكستان بتشجيع أمريكي فلأمريكا وحلفائها في المنطقة يداً كبيرة في قيام نظام طالبان.

وفي كتابه الجيد عن ابن لادن وصف الكاتب الأمريكي آدم روبنسون كيفية ظهور الأفغان العرب وأوضح أن وكالة المخابرات الأمريكية كانت تفضل دعم الأفغان العرب على دعم المقاتلين الأفغان لأنها كانت تعتبر العرب الأفغان أهلاً للثقة ووصف في كتابه كيف استطاع ابن لادن أن يصبح بطلاً جيفارا عربي ووصف تكوينه لجيش مجاهد على نمط الشركات المتعددة الجنسيات هذا كله تحت عيون وبمباركة الوكالة لا تنظيم القاعدة ولا نظام طالبان صنيعتان لأمريكا لكن السياسة الأمريكية خلقت مناخاً مساعداً لهما وفي ظرف تاريخي معين شجعتهما دون أية حسابات للمدى البعيد.

ولو أن المخابرات الأمريكية تعمقت في فكر طالبان والقاعدة لأدركت أنهما على المدى البعيد معاديتان للولايات المتحدة ولم يكن الوجود الأمريكي في المملكة العربية السعودية محل ترحيب كثير من العناصر الاسلامية في السعودية وقد جهروا بمعارضته وتنظيم القاعدة تبنى هذه المعارضة وهو تنظيم اكتسب خبرات قتالية وقدرات للتحرك على صعيد عالمي وكانت أطروحة هؤلاء أن النظام الحاكم يحرس المصالح الأمريكية والقوات الأمريكية تحرس بقاءه فإن هم أرادوا تحرير بلادهم

ينبغي أن يهجموا على الولايات المتحدة ومن النتائج الهامة لها على الصعيد الاسلامي هي:

أولا: استنتاج الولايات المتحدة أن علاقتها ببعض النظم الحاكمة في البلدان الاسلامية والتي كانت علاقة نافعة للأمن الأمريكي صارت مصدر تهديد له.

ثانيا: أن برامج التعليم في هذه البلدان تغرس التعصب وتمهد لعداء دولي وديني.

ثالثا: أن على الولايات المتحدة أن تتبنى سياسات إصلاح تعليمي وإعلامي في المنطقة وأن تعمل على إزالة نظم الحكم الاستبدادي فيها لصالح نظم ديمقراطية

توصيات لمشروع دولة إسلاميّة حديثة:

أوصى المجتمعون في مؤتمر عقدته مُؤسَّسةِ آل البيتِ المَلَكِيَّةِ للفِكْر الاسلامي استمر لمدة ٣ أيام،وحمل عُنوان مشروع دولة إسلاميّة حديثة؛ قابلة للاستمرار بتوصيات في اليوم الختامي.

وَنَظراً لِأَهَميَّة مَوْضوع المُؤْتَمَر في الوَقتِ الرَّاهِن، وَمَا استَجَدَّ في العَالَم العَرَبيّ والاسلامي مِنْ مُتَغيّراتٍ سيَاسِيَّة وأحْدَاث دَامِيَة، والاخْتِلاف بَيْن النَّاس في الآرَاءِ والرُؤى لِمُستَقْبَل بُلْدَانِهم وأنْظِمَة الحُكمِ فِيهَا، فقدْ خَلُصَ المُشَاركُونَ في المُؤْتَمَر إلى مجمُوعَةٍ مِنَ التَّوصِيَات.

١- أنَّ وُجود دَوْلَة إسْلاميَّة حَدِيثَة لا يَكون إلاَّ بالهَديّ الرَبَّاني، وَدُون التَّقيَّد بالتَّأويلاتِ الفِكْريَّة والتَّطْبيقات التَّاريخيَّة المَاضِيَة، مَع الانْفِتَاح عَلَى التَّجَارُب الحَدِيثَة والاسْتِفَادَة مِنْهَا.

٢- أنّ النَّموذج الأنْسَبَ لِلدَّوْلَةِ الاسلاميَّة القابلَة للاسْتِمْرَار هو الدولة المدنيةُ، الّتي يَحْكُمُ فِيهَا المُؤتَمَنُون مِن أهْل الاخْتِصَاص كلّ في مَجَالِه وذلك بالاعتماد عَلَى الدُّستور المَبْنِي عَلَى أسَاس احْتِرام القانون وَعَلَى المُسَاوَاةِ بَيْن جَميع المُوَاطِنينَ مِنْ كَافَّةِ الأطْيَافِ العِرْقيّةِ والدِّينيّةِ، بمَا لاَ يُنَافِي المَبَادِئَ العَامّةَ للدِّين الاسلاميِّ الحَنِيْفِ .

٣- أنّ وَظِيفَة الدَّوْلَة الحديثَة التي تضمن اسْتِمرارها تَتَمثَّلُ في مُمَارَسَتِها لسُلطاتِها المَشْروعَة القائِمَة عَلَى الشُّورَى لا الاسْتِبْدَاد لأنَّ الدَّوْلَة يَجْب أنْ تَكونَ في خِدْمَة المُجْتَمع، والعَدَالَة بَيْن الجَمِيع دُونَ تَمييز، وتَنْظِيم مُمارسَة الحريَّات، والحِفاظ عَلَى دُور العِبَادَةِ وَحِمَايَتِها ، والسَّعي لإسْعادِ رَعايَاهَا وتَوفير العَمَل لَهُم وحِفْظ كَرَامتهم.

٤- وبينوا أن التعدد المذْهبيّ اخْتِيَارٌ يَجْمَعُ ولا يُفَرّق، وَهِوَ في عُمُومِه رَحْمة لأنّه يُقدِّم حُلولاً مُتَنوّعَة لمُشْكِلاتِ الأمَّة، ويُمْكِن الاسْتِفَادَة مِنْ كُل الآراء والاجْتِهَادات الفِقْهيَّة، وبذَلِكَ يَكُون أرْحب في نَظْرَته، كَمَا وَرَدَ في رَسَالَة عَمّان ومُؤتَمَر احتِرَام المَذَاهِب، لِذَا رَفْضَ المؤتَمرون اسْتِخْدَام الصِّرَاع الطَّائِفيّ والتَّحْريض عَلَيْه في حَلّ المُشْكِلاَتِ الّتي تَعْرضُ دَاخِل الدَّوْلَة، وأكّدوا عَلَى حُريّة الرَّأي والمُعْتَقد وَحُرْمة دَمّ الإنْسان ورَفْض

التَّكْفير واسْتِعْمالِه في الصِّراع السِّيَاسيّ، وأنْ تُوضَع قوانِين صَّارمَة بهَذا الشَّأن وتُفَعَّلْ.

٥-وشدد المشاركون عَلَى دَوْر المُؤسَّسات الدِّينيَّة وجُهود العُلَماء في إبرَاز مَفْهوم الدَّوْلَة وقِيَمها وتَرْسِيخ رُوح الوحْدة والوئَام بَيْن مُكوّنَات المُجْتَمع كَافَة وحثوا عَلَى نَبْذ العُنْف أياً كَانَ مُسْتَخْدمه وَأسْبَابه، وأنْ تُحتَرَم إرَادَة الشُّعوب في التَّعْبير عَن آرَائها وأفْكَارها ضِمنَ القوانين والقِيَم والمَعَايير المُتَّبَعَة.

الصحوة الاسلامية ومقدمات الخلافة :

الصحوة الاسلامية مصطلح كان يشير إلى إحياء دين الاسلام في جميع أنحاء العالم الاسلامي وهي صحوة بدأت تقريباً عام ١٩٧٠ وتتجلى في التقوى الدينية واعتماد الثقافة الاسلامية كاللباس، والمصطلحات والفصل بين الجنسين ، والتعبير والرقابة على وسائل الإعلام، والقيم من قبل المسلمين وأحد الأمثلة البارزة على نجاح الصحوة ودعاتها هو زيادة الحضور في الحج إلى مكة المكرمة، الذي نما من ٩٠٠٠٠ حاج عام ١٩٢٦ إلى ٢ مليون حاج عام ١٩٧٩ وأعتبر من المنظور الغربي حدثين من أهم الأحداث التي ألهمت عودة الصحوة الاسلامية هما الحظر النفطي العربي مما زاد سعره إلى ٤ أضعافه لاحقاً والحدث الثاني كان عام ١٩٧٩ وهو الثورة الإيرانية ومن مظاهر الصحوة الاسلامية تأسيس صندوق تدفقت منه مليارات الدولارات من السعودية لتمويل

الكتب الاسلامية، والمنح الدراسية، وبناء المساجد في جميع أنحاء العالم، ومن مظاهرها تقويض التغريب الذي عزز البلدان المسلمة وما كانت الصحوة الاسلامية إلا إنعكاساً لنهج التغريب الشائع في الكثير من الحكومات العربية والآسيوية في القرن ٢٠ وكثيراً ما ترتبط الصحوة مع الحركة الاسلامية السياسية تحديداً دون الكثير من المجالات والتيار الاسلامي وغيرها من أشكال إعادة الأسلمة، في حين تمت صحوة أخرى اعتمدت العنف والتسلح منهجاً لها رافقه بعض التطرف الديني والهجوم على المدنيين والأهداف العسكرية من قبل الاسلاميين.

وشأن هذه الأمة وفق ما جاء به القرآن، وما أخبر به الرسول، وما نطق به التاريخ أن لا تجتمع على ضلالة، وأن تظل فيها طائفة على الحق، داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون يقول الله في كتابه (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)[1] ويقول الرسول الكريم لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ويقول: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ويقول التاريخ: إن هذه الأمة قد أصابتها نكسات ونكبات كبرى،

١ـ الأعراف:١٨١

منذ فجر تاريخها ظن الناس معها بها الظنون، وابتلي بها المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ولكن الأمة استطاعت أن تتغلب على عوامل الضعف من الداخل، وعوامل الغزو من الخارج وأن تحول الهزائم إلى انتصارات، وأن تخلق من الضعف قوة، ومن التفرق وحدة، ومن الأشلاء المبعثرة جسماً عملاقاً وهذه الصحوات الكبرى لم يصنعها غير الاسلام حين يجد من يعلي كلمته، وينادي باسمه، ويجند قوى الأمة تحت رايته فقد سجل التاريخ ذلك في حروب الردة منذ عهد الخليفة الأول، يوم ارتدت قبائل العرب، واتبعوا المتنبئين الكذابين، ولم يبق على الاسلام غير المدينة ومكة وفي حروب الصليبيين في عهود عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي ومرة أخرى في غزو التتار للعالم الاسلامي، وبعد أن دمروا بغداد وأسقطوا الخلافة العباسية، ثم لم يلبث الاسلام أن أثبت وجوده وانتصر على التتار مرتين:انتصر عليهم عسكرياً في معركة حاسمة من معارك التاريخ قادها سيف الدين قطز، مع جنود مصر، وهي معركة عين جالوت في ٢٥ من رمضان سنة ٦٥٨هـ، أي بعد سنتين فقط من سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ وانتصر عليهم انتصاراً آخر، انتصاراً معنوياً، حين دخلوا في الاسلام مختارين، وسجل التاريخ لأول مرة دخول الفاتحين الغالبين في دين المغلوبين وهي إحدى معجزات الاسلام وسجل ذلك في معارك التحرير والاستقلال في

الأوطان الاسلامية كافة فقد كان الاسلام هو المحرك الأكبر، وهو القائد الحقيقي، لكل معارك الجهاد، ضد المحتل الغازي لبلاد المسلمين.

الصحوة الاسلامية وواقع الساحة الاسلامية

إن من يراقب ويتابع بدقة وصدق واقع الساحة الاسلامية اليوم ، يكتشف أن الحالة الاسلامية في العالم باتت أوسع نطاقا وأقوى فاعلية من قدرة الحركة والتنظيم على استيعابها وضبطها وقيادتها وتوجيه مسارها والمشكلة لاتكمن في الحالة الاسلامية وانما في الحركة الاسلامية مشكلة الساحة الاسلامية أنها لم تتطور أو تطور نفسها بالقدر الذي يمكنها من قيادة الحالة وواقع الحالة أنها في نمو عفوي جامح غير مبرمج أو موجه لغياب الحركة القادرة على ضبطها والارتقاء بها : وعيا وتربية وخطابا واداء على كل صعيد.

ومشكلة الساحة أن قيادتها لاتزال قيادات شرائح لا قيادات أمة وأن مناهجها ومخططاتها وسياساتها وتفاعلها مع ما يجري حولها ودورها فيه ، لم يرق الى مستوى الامساك بالحالة والسير بها وفق مشروع اسلامي عالمي متكامل ؟ ومشكلة الحركة أنها لاتزال مستهلكة في مفردات همومها وخصوصياتها ، ولم تخرج من شرنقة الهم الفئوي الى آفاق الهم الاسلامي العالمي ؟ وهذا الواقع المرضي تسبب فى نشأة

الكثير من المشكلات والعلل لدى الحالة الاسلامية وعلى الساحة الاسلامية من ذلك:

- تفاقم ظاهرة التعدد وتكاثر الحركات والتنظيمات والفئات المنتسبة إلى الاسلام .

- غياب أي مشروع تنسيق تعاوني بين هذه الفئات .

- تشكُل حالة صراع ونزاع بين هذه الفئات وصلت حد التكفير واهدار الدم .

- بروز حالات انفصام سلوكي بين المبدأ والتطبيق ، وبين القول والعمل ، وبين الاسلام والمسلمين .

- اتساع نطاق الاختراق الامني والسلطوي والفكري والمالي للساحة الاسلامية .

- ظهور أنماط من التطرف والعنف لم يسبق أن عرفها الاسلام في تاريخه الطويل .

فلابد من الاعتراف بهذا الواقع أولا ، والاحساس بعظم مسؤوليات الجميع عن هذا الواقع ، ثم المبادرة الجادة الصادقة لتصحيح هذا الواقع عبر لقاءات ومؤتمرات متخصصة ، وأجهزة متفرغة ، لمتابعة الخطى ، ووضع المناهج، وتوفير الآليات والامكانيات اللازمة التي تحقق الانتقال

بالساحة الاسلامية إلى مستوى الاسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً ، وإلى مستوى العصر والمرحلة وتحدياتها ومؤامراتها ، فضلاً عن آمال وتطلعات الصحوة الاسلامية وجماهيرها في كل مكان.

وتواجه الصحوة الاسلامية في هذا العصر معوقات على كل صعيد وهذا ليس بمستغرب فالاسلام منذ العهد النبوي الأول وعلى امتداد التاريخ الاسلامي واجه الكثير من التحديات والمعوقات والمؤامرات وسيبقى الاسلام في ميدان المواجهة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فالاسلام دعوة الحق ، ومن طبيعة الحق أنه في معركة دائمة مع الباطل ، وهذه سنة الله في الحياة والمعوقات كثيرة ، ويصعب حصرها وإحصاؤها،و هذه التحديات تتمثل في العديد من الظــواهر، من ذلك:

- ظاهرة تعدد الكيانات والفئات والمشاريع على الساحة الاسلامية مما يستهلك طاقاتها في صراعات داخلية تشغلها عن أداء دورها ، وعن مواجهة خصومها وما يراد بها ويعد لها .

فليس هناك مشروع اسلامي عالمي واحد في مواجهة تحدي العولمة أو عالمية التحدي.

- ظاهرة اختلاف وتناقض المناهج الاسلامية المعتمدة ، خاصة في السنوات العشر الأخيرة حيث طفت على ساحة العمل الاسلامي أنماط

شتى من المناهج الموغلة في التطرف والغلو ، بجانب أخرى قبورية توشك أن تعطل دورة الحياة ، وسنة الأخذ بالاسباب ؟

- ظاهرة التخلف ورفض التطور ، والعمل على تأصيل هذا المنحى ، إذ هو بزعم أصحابه ، ابتداع في الدين مما يؤدي الى الجمود عن فهم طبيعة العصر ، والقعود عن الاعداد المتكافيء ومستوى العصر ؟

- ظاهرة إنكفاء وتدني المستوى التربوي بمفهومه الكامل ومنه الروحي ، نتيجة تعطل العمل بفقه الاولويات ، وغلبة النزعات الشخصية ، وتعدد مراكز القوى ، وعدم ملاءمة المناهج والبرامج التربوية مع تحديات ومتطلبات العصر ، وعدم الأخذ بسنة الثواب والعقاب ، وندرة المربين وضعف محاضن التربية .

- عدم الأخذ بوسائل العصر في إعداد الكوادر القيادية وتأهيلها، عبر دورات تدريبية ، بحسب المهمات والأدوار و الاختصاصات .

-عدم الاهتمام بمعايير ومتطلبات الجودة والاتقان في قطاعات العمل المختلفة ، في زمن بات الأداء والانتاج في العالم ، محكوما بشهادة الأيزو، مما يخالف النص النبوي القائل : إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.

والتحديات الخارجية التى تواجه الصحوه الاسلامية أكثر من أن تحصى ويكفي أن نستعرض أهمها وأبرزها:

تحدي الواقع الرسمي في الدول الاسلامية والذي يتعامل مع الساحة الاسلامية بعداء،نتيجة شكه فيها وعدم اطمئنانه لها، وخوفاً من أن تعمل على إسقاطه وتغييره ،كما نتيجة الجنوحات المرتكبة باسم الاسلام ، أوالسياسات المعتمدة التي تحكم علاقة الساحة بالحكام والمتصفة دائما بالتوتروالتشنج وشراسة الموقف والخطاب ؟

١- تحدي القوى والاحزاب والتيارات غير الاسلامية التي كانت أجمعها مصنفة في خانة العداء للمشروع الاسلامي وساحته الاسلامية ،باستثناء حالة التقارب الاخيرة القائمة بين المسلمين والقوميين فالحركات الشيوعية وعموم التيارات اليسارية وجميع الاتجاهات العلمانية شكلت على امتداد القرن الماضي وحتى اليوم بؤرة مواجهة واجهاض للحركات الاسلامية في كل مكان ، ولا أدل على ذلك من عمليات الاجهاض التي يمارسها اللوبي العلماني في تركيالكل حزب له أدنى صلة بالاسلام ، كحزب الرفاه والسلامة والفضيلة وغيره ؟ وما يحدث في تركيا يحدث ما يشبهه في العديد من الأقطار العربية والاسلامية؟

٢- تحدي الدول الكبري في الشرق والغرب، وفي مقدمتها النظام الدولي الذي تحكمه وتتحكم فيه الولايات المتحدة الأميركية ، مشرعة السلاح والحرب على الاسلام والساحة الاسلامية، قبل أحداث الحادي عشر من

سبتمبر ٢٠٠١ وبعده ؟ وجندت لذلك أجهزتها الأمنية ومؤسساتها الاعلامية،ومراكزها المالية والاقتصادية.

٣- إختراقات أجهزة الأمن الأجنبية وفي مقدمها المخابرات المركزية الامريكيةC.I.A للساحة الاسلامية في عدد من الدول ، بالتعاون مع أجهزة المخابرات المحلية ، لاستدراج الساحة إلى مقاتلها ، عن طريق اصطناع فئات اسلامية تدين لها بالولاء المطلق ، أو عن طريق زرع عناصر من المرتزقة في جسم هذا التنظيم أو ذاك ، أو من خلال التسلل عبر حالات من الجهل والتخلف ، التي لا تخلو منها حركة من الحركات؟

٤- تحدي وسائل الاعلام التي اعتبرت صانعة للرأي العام منذ نشأتها ، فكيف بها وبآثارها بعد ظهور الفضائيات وثورة الاتصالات الأخيرة ؟ إنها اليوم وبالرغم من حيازة الساحة الاسلامية لبعض منها ذات أثر كبير في تشكيل العقل البشري وصياغة السلوك الانساني، وتعمل اليوم وتجري خلاف الفطرة وعكس المنهج الرباني بشكل عام والمشروع الاسلامي بشكل خاص ؟

الصحوة الاسلامية وقضايا الأمة

فيما يلي بعض القضايا التي ينبغي للخطاب الاسلامي أن يبت فيها بوضوح رؤية وإحاطة.

أولا: ينبغي اتخاذ موقف ممنهج من التراث الديني فللمذاهب قيمتها التاريخية ولكن اعتبارها ملزمة والبحث عن التقارب فيما بينها حراثة في بحر ،والنهج الصحيح هو اعتبارها تراثاً تاريخياً وتكوين مؤسسة اجتهاد جماعي حديثة مؤهلة للاجتهاد على ألا يعتمد هذا الاجتهاد إلا بعد إجازته عن طريق مؤسسة تشريعية منتخبة انتخابا حراً.

ثانيا: اتخاذ موقف منهجي من الفكر والنظم الوافدة من التجارب الإنسانية الأخرى.

ثالثا: ينبغي تحديد أسس شرعية الحكم بصورة قاطعة فلا مشروعية في الاسلام لحكم لا يقوم على الشورى .

رابعا: لا استقرار لنظام سياسي ما لم يكفل للمجتمع ضرورات المعيشة.

خامسا: كفالة حرية البحث العلمي والتكنولوجي من ضرورات الحياة العصرية.

سادسا: التعامل مع الانسان على اعتبار أنه ليس كأحد الجمادات والحيوانات لأن فيه قبساً من روح الله ثم سواه ونفخ فيه من روحه.

سابعا: تطبيق الشريعة: رفعت بعض الحركات شعار تطبيق الشريعة وقد ظهرت في كثير من هذه التطبيقات العيوب الآتية:

أ- الحكم الذي نادى بها لم يقم على أساس شرعية إسلامية وفاقد الشيء لا يعطيه، بل صار الشعار في كثير من الحالات وسيلة للحصول على تأييد سياسي غير مشروع كما كان في حالة ضياء الحق في باكستان وجعفر نميري في السودان.

ب- التطبيق بدأ بأولويات خاطئة إذ بدأ بالحدود مع أن هذه الحدود مفروضة لحماية مجتمع إسلامي عادل والنتيجة أن الحدود وظفت لحماية الظلم الاجتماعي وبدا كأن الاسلام مؤسسة عقابية لا شأن له بحقوق الإنسان والعدالة.

ثامنا: موضوع الجهاد: الجهاد في الاسلام واسع المجال يبدأ بجهاد النفس ويشمل بذل الجهد كله في سبيل إعلاء كلمة الله بالوسائل المدنية كلها ولا يصير قتالاً إلا دفاعاً لقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

تاسعا: عندما انحسرت الإمبراطوريات الحديثة فإنها خلفت مشاكل صارت الآن بؤر التهاب مرشحة لتهديد السلام العالمي أهمها:قضية فلسطين - قضية كشمير - قضية جنوب الفلبين - قضية جنوب السودان.

هذه القضايا مسئولية دولية توجب إعلان المسلمين مواقف موحدة من حلها على أسس عادلة وتوجب قيام الأسرة الدولية بواجبها في حل مشاكل هي في الأصل من صنعها.

عاشراً: مسألة الإرهاب ينبغي الاتفاق على تعريف الإرهاب والاستعداد للعمل على محاربته لأن الذي يلحق باسم الاسلام من إرهاب يعود بالضرر على الاسلام والمسلمين قبل أن يؤذي ضحاياه الآخرين.

حادي عشر: ينبغي إقرار حقيقة أن الاسلام يعترف بالتعدد الديني بل يعتبر نفسه حلقة خاتمة للسلسلة النبوية: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ والاسلام يقر: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ وهي آية محكمة وعقلاً ملزمة ففي الإيمان والحب لا مجال للإكراه لأن الإكراه معناه إبطال معنى الإيمان ومعنى الحب.

ثاني عشر: الأقليات المسلمة: على المسلمين حماية حقوق الأقليات الدينية التي تعيش معهم والعمل على تحقيق المعاملة بالمثل بالنسبة للأقليات المسلمة.

ثالث عشر: الاسلام يحث المسلمين على الاتحاد وتوجد بين المسلمين اليوم وحدة وجدانية ولكنهم جميعا يعيشون في ظل دول قومية وفي ظل نظام دولي يوجب احترام هذه الدول لبعضها بعضا.

رابع عشر: مسألة المرأة:

<u>المستقبل للاسلام</u>

الناظر في واقع العالم اليوم، والاسلام وواقع الصحوة العالمية يرى أن الاسلام قادم وأن وعد الله عز وجل قد اقترب وأن ما أخبر به رسوله ص

في قوله: ثم تكون خلافة على منهاج النبوة وآية اقتراب النصر وعلامة تحقق الوعد أنك ترى شباب الاسلام بل وكهوله ونسائه يرتقون رويدًا رويدًا ليصلوا إلى منهاج النبوة فها هم يقيمون دعوتهم على أصل الأصول في دعوة الأنبياء والمرسلين ألا وهو: توحيد الله سبحانه، والبراءة من الشرك وتحرير ولائهم لله ورسوله والمؤمنين، ومنابذة أعداء لا إله إلا الله والبراءة منهم والدعوة إلى التوحيد، ونشر عقيدة أهل السنة والجماعة كل ذلك يحتل مساحة شاسعة من خريطة دعوتهم، أليس هذا هو جوهر منهاج النبوة، ولبه وقطب رحاه؟ و يحيون الدعوة إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسول الله ص في كل ما يعرض من مشكلات وقضايا ويجددون الدعوة إلى نبذ الفرقة والاختلاف، والاعتصام بحبل الله والائتلاف بالتمسك بالسنة، والبراءة من البدعة وينفضون الغبار عن تراثهم، ويحيون مفاهيم السلف الصالح رضي الله عنهم، ويجتهدون في أن يرتقوا إلى منهج السلف الصالح، وأن يتساموا إلى أخلاقهم وعبادتهم وأن يتقدموا إلى تصوراتهم التي تلقوها من مشكاة النبوة دونما كدر ولا دَخن .

وبالرغم من كل ذلك نرى الصحوة الاسلامية القائمة على الأصالة، وعلى الاقتباس من منابع ديننا الحنيف الذي حملت رسالته التي يريد أعداء الاسلام تجفيفها وحفظت أمانة هذا الدين العظيم أمة القرآن الخالدة، فامتزجت به مشاعرها، وجرت في سبيله دماؤها وأصبح هو

حياتها وفكرها، ومبدأها ومعادها، ونبض قلوبها.

وقد تتابعت الحملات العسكرية والفكرية، للقضاء على هذا الدين الخالد وأهله، وخُيِّل إلى أعداء الاسلام أن الأمة مجتمعة قد استجابت لجهودهم وأزمعت أن تودع الاسلام إلى غير رجعة.

وإذا بعلماء الأمة الربانيين من الطائفة الظاهرة المنصورة يتصدون عن وعي واقتدار في كل عصرٍ ومصر لأعداء الاسلام ويبشرون الذين تسرب اليأس إلى قلوبهم بقوله تعالى: {ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون} وقوله عز وجل: {سيجعل الله بعد عسر يسرا} وقوله جل وعلا: {والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} وإذا بشباب في ريعان الصبا، وفتيات في عمر الورود في مشارق الأرض ومغاربها ينسابون من كل حدب وصوب، ينضمون إلى ركب الإيمان، ينادون بالعودة إلى كتاب الله وإلى دينه، حاملين أنفسهم وأنفاسهم وأموالهم وأوقاتهم وزهرات شبابهم على أكفهم، باذلين ذلك كله في سبيل إعلاء كلمة الله متحملين العذاب والاضطهاد والتشريد والتنكيل واثقين بوعد الله، موقنين بالنصر والتمكين.

لقد تجاوبت الآفاق بأصداء دعاء جند الإيمان والتوحيد {ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا} حين ردَّدَها شباب مصر وتركيا وباكستان وجزيرة العرب والشام، والمغرب والسودان، وسائر أنحاء ديار الاسلام، وفي أعماق أوروبا وأمريكا، وراحوا ينهلون

من كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله ص، وقد وجهوا قلوبهم ووجوههم شطر البيت العتيق، وولوا ظهورهم لكل ما هو بعيد عن الشرع والدين. لقد أذهلت الصحوة الاسلامية العالم أجمع شرقه وغربه عرب وعجم، فأخذت التصريحات والحملات والمخططات تتوالى لوأد الصحوة، والقضاء على أنفاسها ولكن هيهات أن ينال أعداء الاسلام من هذا الدين الخالد، وهيهات أن يسيطروا على أتباعه، أو يجففوا منابعه كما يزعمون وما أكثر الإرهاصات والبشارات التي تبشر باقتراب موعود الله عز وجل الذي وعد به عباده المؤمنين، قال عز وجل: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ص يقول: (لا يذهب الليل ولا النهار حتى تعبد اللات والعزى) قالت قلت يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} أن ذلك تام، قال: (إنه سيكون من ذلك ما شاء الله)[1] ومما يوضح هذه البشارة ما رواه شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ص قال: إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها)[2] وعن تميم بن أوس الداري عن النبي ص أنه قال: (ليبلغن هذا الأمر ما

١-رواه مسلم ٢٩٠٧ ٢- رواه مسلم ٢٨٨٩.

بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًّا يعز الله به الاسلام وذلاً يذل به الكفر)[1] وغير ذلك من الأقوال والصيحات التي تستشعر قرب الانهزام أمام الاسلام، والتي لا تجد لها تفسيرًا إلا أن المستقبل للإسلام.

وفي المقابل تجد إقبالا ممن وفقوا لمعرفة حقيقة هذا الدين الخالد والشرع المنزل من لدن حكيم خبير ، فتجد الآف العطشى يهرولون إلى رحاب الاسلام بعد أن عرفوا وتيقنوا أنه الدين الحق الذي ارتضاه الله عز وجل للعالمين، وأن المستقبل للإسلام :

ـ فهذا الأستاذ السابق بكلية اللاهوت الإنجيلية إبراهيم خليل فلوبوس واحد من الملايين الذين انقادوا لما وجدوا عليه آباءهم من غير بني الاسلام نشأ في الكنيسة وترقى في مدارس اللاهوت وتبوأ مكانة مرموقة في سلم التنصير وبأنامل يديه خط عصارة خبرته الطويلة عدة مئات من الصفحات رسالة للماجستير تحت عنوان :كيف ندمر الاسلام بالمسلمين ؟ في علم اللاهوت كان فلوبوس متخصصاً لا يجارى وفي منظار الناسوت كان ابن الكنيسة الإنجيلية الأمريكية يتيه خيلاء يقول إبراهيم في مؤتمر تبشيري دعيت للكلام ، فأطلت الكلام في ترديد كل المطاعن المحفوظة ضد الاسلام ، وبعد أن انتهيت من حديثي بدأت أسأل نفسي :

١ـ رواه الإمام أحمد ١٣٠/٤

لماذا أقول هذا وأنا أعلم أنني كاذب ؟ واستأذنت قبل انتهاء المؤتمر ، خرجت وحدي متجهاً إلى بيتي ، كنت مهزوزاً من أعماقي ، متأزماً للغاية ، وفي البيت قضيت الليل كله وحدي في المكتبة أقرأ القرآن ، ووقفت طويلاً عند الآية الكريمة {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ {وفي تلك الليلة اتخذت قرار حياتي فأسلمت، ثم انضم إلي جميع أولادي ، وكان أكثرهم حماساً ابني الأكبر أسامة وهو دكتور في الفلسفة ويعمل أستاذاً لعلم النفس في جامعة السوربون وبإسلامهم زادت بيوت الاسلام بيتاً .

ـ وهذا أستاذ مصري للقانون يعمل بإحدي الجامعات الأمريكية يقول كنا في حوار قانوني، وكان معنا أحد أساتذة القانون من اليهود، فبدأ يتكلم ثم بدأ يخوض في الاسلام والمسلمين، فأردت أن أسكته فسألته هل تعلم حجم قانون المواريث في الدستور الأمريكي؟ قال: نعم،أكثر من ثمانية مجلدات فقلت له:إذا جئتك بقانون للمواريث فيما لا يزيد علي عشرة سطور،فهل تصدق أن الاسلام دين صحيح؟ قال:لا يمكن أن يكون هذا فأتيت له بأيات المواريث من القرآن الكريم وقدمتها له فجاءني بعد عدة أيام يقول لي: لا يمكن لعقل بشري أن يحصي كل علاقات القربي بهذا الشمول الذي لا ينسي أحداً ثم يوزع عليهم الميراث بهذا العدل الذي لايظلم أحداً ثم أسلم هذا الرجل فكانت آيات المواريث وحدها سبيلاً إلي

اقتناع هذا الرجل اليهودي بالاسلام .

وهذا المفكر الانجليزي عبدالله كويليام أسلم وتلقب باسم:الشيخ عبد الله كويليام من أقواله: هذا القرآن الذي هو كتاب حكمة فمن أجال طرف اعتباره فيه وأمعن النظر في بدائع أساليبه وما فيها من الإعجاز رآه وقد مر عليه من الزمان ألف وثلاثمائة وعشرون سنة كأنه مقول في هذا العصر إذ هو مع سهولته بليغ ممتنع ومع إيجازه مفيد للمرام بالتمام وكما أنه كان يرى مطابقًا للكلام في زمن ظهوره لهجة وأسلوبًا كذلك يرى موافقًا لأسلوب الكلام في كل زمن ولهجة، وكلما ترقت صناعة الكتابة قدرت بلاغته وظهرت للعقول مزاياه وعلى الجملة فإن فصاحته وبلاغته قد أعجزت مصاقع البلغاء وحيرت فصحاء الأولين والآخرين وإذا عطفنا النظر إلى ما فيه من الأحكام وما اشتمل عليه من الحكم الجليلة نجده جامعاً لجميع ما يحتاجه البشر في حياته وكماله وتهذيب أخلاقه وكذا نراه ناهياً عما ثبت بالتجارب العديدة خسرانه وقبحه من الأفعال ومساوئ الأخلاق وكم فيه ما عدا ذلك أيضاً ما يتعلق بسياسة المدن وعمارة الملك،وما يضمن للرعية الأمن والدعة من الأحكام الجليلة التي ظهرت منافعها العظيمة بالفعل والتجربة فضلاً عن القول[1] ويقول: إن من ضمن محاسن القرآن العديدة أمرين واضحين جداً

١-العقيدة الاسلامية، ص ، ص ١٣٩ – ١٤٠ .

أحدهما علامة الخشوع والوقار التي تشاهد دائماً على المسلمين عندما يتكلمون عن المولى ويشيرون إليه والثاني خلوّه من القصص والخرافات وذكر العيوب والسيئات وإلى آخره، الأمر الذي يؤسف عليه كثيراً لوقوعه بكثرة فيما يسميه المسيحيون العهد القديم(١)وتقول عائشة برجت هوني يعيش العالم الغربي اليوم في ظلام، وليس هناك أي بصيص من الأمل في قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس فكل من يعرف الوضع الحقيقي للمجتمعات الغربية يلمس هذا القلق والحيرة العالمية التي تختفي خلف بريق التقدم والإبداع المادي الزائف فالناس في الغرب والشرق يبحثون عن مخلّص من العقبات التي تحيق بهم ولكنهم لا يرون منها مخرجاً فبحثهم عقيم والانسجام اللطيف في الاسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قويًا في أيامنا هذه وبوسعه أن يبيّن للحضارة الغربية السبيل المؤدي إلى الفلاح والخلاص الحقيقيين وأن يقدم للرجل الغربي التصور الحقيقي للحياة وأن يقنعه بالجهاد في سبيل مرضاة الله..[٢] ويقول كوفهي لال جابا : إن الاسلام بوسعه تلبية كافة حاجات الإنسان في العصر الحاضر، فليس هناك أي دين كالاسلام يستطيع أن يقدم أنجح

١- أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوروبة، ص ٢٣ – ٢٦. ٢- رجال ونساء أسلموا ١ / ٦٣ – ٦٤ .

الحلول للمشكلات والقضايا المعاصرة فمثلاً أشد ما يحتاج إليه العالم اليوم الأخوة والمساواة، وهذه، وجميع الفضائل لا تجتمع إلا في الاسلام لأن الاسلام لا يفاضل بين الناس إلا على أساس العمل والبذل[1]إن الاسلام هو أفضل دين للبشرية، فبينما نجد أماكن العبادة في الأديان الأخرى خاوية في أغلب الأحيان، نرى أن المساجد تزخر بالمؤمنين خاصة من الشباب الذين يعبدون الله خمس مرات في اليوم بأعداد كبيرة، وهذا أكبر دليل على أن الاسلام لا يزال بخير تماماً كما كان دائماً في الماضي فالاسلام يتغلغل في حياة المسلم بكل تفاصيلها، بل له الكلمة الفصل في كل نشاط يقوم به المسلم وليس هناك أي دين آخر غير الاسلام لديه الإمكانية لحل كافة مشكلات الناس في العالم الحديث، وهذا هو امتياز الاسلام وحده[2]

وأخيرًا أختم بكلمة السياسي والصحفي الهندي كوفهي لال جابا - خالد لطيف جابا: ليس هناك أي دين آخر غير الاسلام لديه الإمكانية لحلّ كافة مشكلات الناس في العالم الحديث، وهذا هو امتياز الاسلام وحده (.

وهكذا فإن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والدلالات الكونية، وشهادات المنصفين، وصرخات الحاقدين الخائفين، وأقوال المهتدين، كلها تصرح بحقيقة واحدة وتقودنا إلى نتيجة حتمية وهي أن المستقبل

١- رجال ونساء أسلموا ٦ / ١٠٢ – ١٠٣. ٢- رجال ونساء أسلموا ٦ / ١٠٣ – ١٠٤.

للإسلام لا محالة .

فإلى من يعيش في حيرة ويبحث عن الحق أقول: إن المستقبل للإسلام فهلم إلينا وإلى أولئك الحاقدين المتخوفين أقول: إن المستقبل للإسلام ولا نجاة إلا في الاسلام وبالاسلام، فالنجاة النجاة .

دول منبثقة عن الاتحاد السوفييتى

بعد انفراط عِقْد الاتِّحاد السوفيتي خرجت دول آسيا الوسطى ويمكن تسمية الفترة التي أعقبت انفراط العقد السوفيتي وانهيار الشيوعيَّة بالمرحلة الانتقاليَّة المرتبكة، ومن إيجابيَّات هذه المرحلة أن الحراك الذي تعيشه دُوَل وسط آسيا المسلمة غيَّر كثيرًا من أجواء الركود الآسن الذي عَانَتْهُ على مدار عقود الشيوعيَّة، ولكن يقلِّل من مزايا هذا الحراك عدم استقرار المشروعات السياسيَّة على هدف مشترك أو مشروع إقليمي واحد نتيجة مسلسل مستمرٍّ من التوتُّر والصراع عَبْرَ السنوات الماضية، وقد ساهمت في حالة الارتباك ستٌّ قضايا شائكة هي:الفساد والمخدِّرات في آسيا الوسطى- العَلاقة بين المسلمين والسلطة في آسيا الوسطى - الاستبداد والتوريث الذي كان سببًا من الأسباب الرئيسة في قيام العديد من الثورات - ميراث النزاعات العرقيَّة - أحاديَّة النظام الاقتصادي- فشل التحالف الإقليمي

وهناك ست جمهوريات إسلامية انفصلت عن الاتحاد السوفييتى السابق بعد انهياره تقع خمس منها في آسيا الوسطى وهي: أوزبكستان، وكازاخستان، وقيرقيزستان، وطاجيكستان، وتركمانستان، وواحدة في القوقاز هي أذربيجان، ويشكل المسلمون أغلبية في تلك الجمهوريات عدا كازاخستان،التي يوجد بها نسبة كبيرة من الروس، ويبلغ عدد المسلمين في دول الرابطة قبيل الانهيار ١٩٩١، نحو ٥٧ مليون نسمة يعيش ٨٠ % منهم في الجمهوريات الست وتُعد تلك الجمهوريات أقل دول الرابطة من حيث مستوى التطور الاقتصادي، وينتمي مسلموا الجمهوريات الست إلى ثلاث مجموعات عرقية هي :

أ. مجموعة الشعوب التركمانستانية: ٨٥% من المسلمين، وتضم معظم سكان أوزبكستان وكازاخستان وأذربيجان وتركمانستان وقيرقيزستان، وهؤلاء يتحدثون لغات قريبة من اللغة التركية،وهم أقرب ثقافة إلى تركيا .

ب. مجموعة الشعوب الإيرانية: ٨.٤% من المسلمين، ويتمركزون في طاجيكستان أساساً وهؤلاء أقرب حضارة وثقافة إلى إيران،وإن لم يكونوا شيعة كما هو الحال في سكان أذربيجان .

ج. الشعوب الأيبروقوقازية: وهؤلاء يعيشون في مجموعات متفرقة في القوقاز وروسيا، الانجوش والشيشان وغيرهم .

ويشيع بين مسلمي الجمهوريات الست شعور عام بهويتهم القومية المتميزة، ويتمثل هذا الشعور في السعي نحو إحياء تاريخ آسيا الوسطى قبل الحكم الروسي، والتمسك باللغات القومية وبالقيم الثقافية الاسلامية، وتعدد الانتماءات اللغوية والمذهبية لدول آسيا الوسطى والقوقاز الاسلامية، وتدني مستوى تطورها الاقتصادي ، يجعل من تلك الدول ساحة عريضة مفتوحة أمام كل من: إيران، وتركيا، والدول العربية، وإسرائيل وكذلك بعض الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية والصين.

وبحلول أواسط الثمانينيَّات كانت المقاومة الاسلاميَّة قد كبَّدت القوَّات السوفيتيَّة خسائر عسكريَّة فادحة،وهو ما جعل السوفييت يشعرون بالفشل، وأنهم وقعوا في مأزق كبير؛ الأمر الذي اضطرهم إلى الانسحاب من البلاد، فأعلن الاتِّحاد السوفيتي انسحاب كافَّة قوَّاته بشكل رسميٍّ من أفغانستان في ١٥ فبراير ١٩٨٩م

وبالنسبة إلى محاولة استقلال الشيشان؛ فقد كان ذلك عام ١٩٩١م حينما سقط الاتِّحاد السوفيتي السابق، ففي السابع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٩١م جَرَت الانتخابات الشيشانيَّة، وفاز فيها الجنرال جوهر دودابيف بنسبة وصلت إلى ٩٠%، ومع انهيار الاتِّحاد السوفيتي أُجْرِيَ استفتاء شعبي في الجمهوريَّة حول مسألة البقاء في الاتِّحاد الروسيِّ أو الاستقلال عنه، وقد أيَّد غالبيَّة الشعب الشيشاني إعلان الاستقلال، شأنها

في ذلك شأن جمهوريَّات البلطيق الثلاث، لكنَّ روسيا لم ترضَ بهذا الحلِّ، وفرضت حصار تامَّ على الشيشان، وعلى الرغم من الحصار الجائر، وما ترتب عليه من نتائج اقتصادية وإنسانية، فقد عَمِل الجنرال جوهر دودابيف على بناء دولته،رغم العوائق التي وضعتها القيادة الروسيَّة وبعد مُضِيِّ أكثر من ثلاث سنوات على الحصار المفروض على الشيشان، لجأت روسيا وبشكلٍ سافر إلى الخيار العسكريِّ، وشنَّت في أواخر عام ١٩٩٤م هجوماً واسعاً على جروزني عاصمة الشيشان، وساق الروس على ثلاثة محاور ٦٠ ألف جندي مزوَّدِين بحوالي ٢٢٥٠ دبابة،وعشرات الطائرات، وغيرها من الأسلحة الأخرى، واستمرَّت الحرب حتى دخول القوَّات الروسيَّة العاصمة جروزني واستيلائها عليها في عام ١٩٩٦، بعد اغتيالها للرئيس الشيشاني جوهر دودابيف في غارة جوِّيَّة، لكنَّ المجاهدين الشيشان استطاعوا أن يُعِيدُوا العاصمة في أغسطس عام ١٩٩٦م، وإرغام روسيا على الاتِّفاق على معاهدة سلام بين الشيشان وروسيا، لكنَّ روسيا كانت قد أعدَّت خُطَّة تَهْدُف لأمرَيْن :الأوَّل :إحداث حرب أهليَّة في الشيشان، والثاني :تنفيذ عمليَّات عسكريَّة تتَّهم فيها الشيشان ورغم فشل روسيا في هدفها الأوَّل إلا أنها نجحت في هدفها الثاني، مما كان ذريعة قويَّة في الحرب الروسيَّة الشيشانيَّة الثانية عام ١٩٩٩م ٠

الخلافة الاسلامية قادمة

الخلافة الاسلامية فريضة واجبة على المسلمين والفروض جاءت من القرآن والسنة وطالما أراد الله عز وجل أمراً فهو متحقق وهذا أمر من الشرع يجب تطبيقه وإلا كانت الأحكام الشرعية عبئًا أما ما يوجد في أذهان الناس من استحالة تطبيقها فهذه حملات تيئيس يقوم بها البعض من الكارهين للإسلام للتنفير من عودة وحدة المسلمين والخلافة الاسلامية حتى يظل المسلمون في حاجة إليهم، ولنا أن نتصور أن هناك ٥٧ دولة ينسبون للإسلام يتجمعون في دولة واحدة كغيرهم من بلاد الغرب الذين تجمعوا على الرغم مما لديهم من فوارق لكن القوى الخارجية تعمل على تشتيت المسلمين حتى لا تقوى شوكتهم ولكن وعد الله سيتحقق لا محالة بتمكين الدين الاسلامي ولو كره الكارهون فالرسول ص قال تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت وهذا وعد من الرسول ص سيتحقق لا محالة وعلينا جميعا نحن المسلمين أن نؤمن بأنه ستعود الخلافة على منهج الرسول ص وهذا ما نسعى إلى تحقيقه ليتجمع المسلمون في دولة واحدة وتقوم هذه الدولة بإزالة كل العقبات التي

تحول دون نهضة المسلمين في بقاع الأرض ومثقفوا ومفكروا الغرب يعلمون ذلك علم اليقين من خلال نصوصهم أو من خلال استقرائهم للواقع الملموس أمامهم من حال التيارات الاسلامية ومن ارتفاع معدل الدخول فى الاسلام ومن فشل معظم محاولات التبشير التى يسعون لها جاهدين ٠

صرخات تؤكد قدوم الخلافة

يظهر لنا شدة خوف أعداء الاسلام من الصحوة الاسلامية المتنامية، من خلال صرخاتهم وأناتهم واستغاثاتهم، ويظهر لك من هلعهم اقتراب نهايتهم، وفريق منهم يتحدث بلسان المنصف بعد دراسة متعمقة ومعرفة عن قرب لحقيقة الاسلام، وطبائع المسلمين وعقائدهم ، فمن أقوال أولاء وأولئك ننقل لكم ما يفهم منه لا محالة أن المستقبل للإسلام.

هذا بن جوريون يرتجف ويقول: نحن لا نخشى الاشتراكيات، ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الاسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً، وبدأ يتململ من جديد[1] شعيا بومان كاتب يهودي يصيح في هلع وفزع: إن على أوروبا أن تظل خائفة من الاسلام، ذلك الدين الذي ظهر في مكة، لم يضعف من الناحية العددية بل هو في

١- أجنحة المكر الثلاث – عبد الرحمن حبنكة ص١٣١

ازدياد واتساع، ثم إن الاسلام ليس ديناً فحسب، بل إن من أهم أركانه الجهاد، وهذا ما يجب أن تتنبه له أوروبا جيداً[1] ويقول المستشرق شاتلي: إذا أردتم أن تغزو الاسلام، وتخضوا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها،والتي كانت السبب الأول والرئيسي لاعتزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم، عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الاسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم، وكتابهم القرآن، وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم،ونشر روح الإباحية، وتوفير عوامل الهدم المعنوي، وحتى لو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج البسطاء لكفانا ذلك، لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها في القطع أحد أغصانها [2] ويقول الدكتور ليندون هاريس: إن الاسلام هو الديانة الوحيدة التي تعد على الدوام تحدياً أو مناجزة لجهود التبشير والمبشرين[3] ويقول جوستاف لوبون مع ما أصاب حضارة العرب من الدثور، كالحضارات التي ظهرت قبلها: لم يمس الزمن دين النبي ص الذي له من النفوذ ما له في الماضي،ولا يزال ذا سلطان كبير

١- أجنحة المكر الثلاث ص١٣١ ٢-غزو العالم الاسلامي للمستشرق شاتلي ص٢٦٤

٣- الاسلام في أفريقيا الشرقية عن العقاد: ما يقال عن الاسلام، ص ٦٥ – ٦٦.

على النفوس، مع أن الأديان الأخرى التي هي أقدم منه تخسر كل يوم شيئاً من قوتها وتجمع بين مختلف الشعوب التي اتخذت القرآن دستورًا لها وحدة اللغة والصلات التي يسفر عنها مجيء الحجيج إلى مكة من جميع بلاد العالم الاسلامي وتجب على جميع أتباع محمد ص تلاوة القرآن باللغة العربية بقدر الإمكان، واللغة العربية هي لذلك أكثر لغات العالم انتشاراً على ما يحتمل، وعلى ما بين الشعوب الاسلامية من الفروق العنصرية ترى بينها من التضامن الكبير ما يمكن جمعها به تحت علم واحد في أحد الأيام [1]

ويقول آرنولد توينبي المؤرخ البريطاني المعاصر، صحيح أن الوحدة الاسلامية نائمة، ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ إذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرّب ضد السيطرة الغربية، ونادت بزعامة معادية للغرب، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسية لا حصر لها في إيقاظ روح النضال للإسلام، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام وهناك مناسبتان تاريخيتان كان الاسلام فيهما رمز سموّ المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي: ففي عهد الخلفاء الراشدين ، بعد الرسول ص حرّر الاسلام سوريا ومصر من السيطرة اليونانية التي أثقلت

١-حضارة العرب ، ص ١٢٦.

كاهلهما مدة ألف عام تقريباً وفي عهد نور الدين وصلاح الدين والمماليك احتفظ الاسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول فإذا سبّبه الوضع الدولي الآن حرباً عنصرية، يمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى[١] .

يقول جورج سارتون إن شعوب الشرق الأوسط قد سبق لها أن قادت العالم في حقبتين طويلتين، طوال ألفي سنة على الأقل قبل اليونان، ثم في العصور الوسطى مدى أربعة قرون على الأقل من أجل ذلك ليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب من أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد[٢] وليس ما يمنع الشعوب العربية اليوم من أن تباري أسلافها وأن تستعيد ثانية مكانتها الأولى في قيادة العالم ومع أن ذلك ليس سهلاً وهو يصبح أشد صعوبة يومًا بعد يوم فإنه ممكن [٣] ويقول: إن التقدم المادي الخالص مدمّر، وهو ليس تقدمًا على الإطلاق، بل تأخر أساسي أن التقدم الصحيح ومعناه تحسين صحيح لأحوال الحياة لا يمكن أن يبنى على وثنية الآلات ولا على العتلات، ولكن يجب أن يقوم على الدين ، وفوق ذلك كله، على العلم، العلم الخالص، على محبة الله، على محبة الحقيقة، وعلى حب الجمال وحب العدل وهذا يبدو لنا جلياً حينما نلقي نظرة

١- الاسلام والغرب والمستقبل ، ص ٧٣٩ ٢- الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ، ص ٦٩ ٣-الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ، ص ٧٠

واحدة إلى الوراء من هم أولئك الذين كانوا رجالاً عظاماً في التاريخ؟ من هم أولئك الذين أحسنوا إلينا؟ ومن هم أولئك الرجال الذين نحن مدينون لهم بمسرات حياتنا ونعمها؟ لقد كانوا رجالاً أمثال أفلاطون وأرسطو وإقليدس وأرخميدس في تاريخ اليونان أما في أثناء العصور الوسطى فكانوا رجالاً من أمثال الفارابي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والغزالي وابن رشد وموسى بن ميمون وأبي الفداء وابن خلدون إن ما نراه واضحاً حينما نلقي نظرة إلى الوراء يجب أن يكون واضحاً أيضاً حينما نمد نظرنا إلى الأمام فيهدي خطانا إلى المستقبل [١] ويقول أيضاً: إن المدنية ليست مرضاً، ولكن من الممكن أن تنقلب عند أهل الجدل شرًا وفسادًا والمدنية ليست شرقية ولا غربية، وليس مكانها في واشنطن أكثر مما هو في بغداد إنما يمكن أن تكون في كل مكان يكون فيه رجال صالحون ونساء صالحات يفهمونها ويعرفون كيف يستفيدون منها من غير أن يسيئوا استعمالها والشرق الأوسط كان مهد الثقافة ومنه جاءت أسباب إنقاذ العالم أثناء العصور الوسطى حينما بدأ الستار الحديدي في أوروبا يشطر العالم شطرين الأرثوذكسي والكاثوليكي وها نحن اليوم ننظر إلى ماضي الشرق الأوسط بعرفان الجميل[٢] ثم نرنو إلى مستقبله

١- الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ، ص ٧٢ –٧٣ ٢- المصدر السابق ص ٧٤

بعين من الأمل الحلو ويقول هنري دي كاستري الكونت إن للمسلمين في الصين منزلة عالية ويخمّن وازيليف وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي أن مصيره القيام مقام مذهب بوذا وأن لمسلمي الصين اعتقادًا جازماً بأن الاسلام لابدّ أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة البوذية، وهي مسألة من أهم المسائل، إذ الصين آهلة بثلث العالم أو تزيد، فلو صاروا كلهم مسلمين لأوجب ذلك تغييرًا عظيمًا في حالة تلك البلاد بأجمعها فيمتد شرع محمد ص من جبل طارق إلى المحيط الأكبر الهادي ويخشى على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم أن أمة الصين أمة عاملة وإن هدأت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذو البأس القوي لخشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها وقال مسيو مونته صار من المحقق أن الاسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية ويقول إن أكثر انتشار الاسلام في أفريقيا فهو يتقدم فيها تقدماً سريعاً وينجح نجاحاً كليًا لأن أزر المسلمين فيها مشدود بما لهم من التمكن في الجهة الشمالية فلا ينازع الدين الاسلامي دين غيره لذلك يكثر عددهم وينمو الدين على الدوام .